المؤتمر القرآني الدولي الثاني
في هدايات القرآن الكريم

تَعظِيمُ اللهِ تَعَالى
فِي هِدايَات القرْآن الكَريم

تنظيم جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

عنوان البحث

تعميق تعظيم الله تعالى في القلوب

- دراسة في كتاب مجالس القرآن للدكتور فريد الأنصاري رحمه الله -

اسم الباحث

د/ محمد بن مرضي الهزيل الشراري

د. محمّد بن مرتضى الهزيل الشّراري

تعميق تعظيم الله في القلوب

دراسة في كتاب (مجالس القرآن) للدكتور فريد الأنصاري

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين، نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين،،

أما بعد؛ فإن أجلّ علم صرفت فيه الهمم، وبذلت فيه الأوقات، علم الكتاب المنزَّل؛ إذ هو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد؛ لأن العلم يشرف بشرف موضوعه، وموضوع التفسير كتاب الله تعالىٰ، رسالة الله الأخيرة إلىٰ أهل الأرض.

ولما كان القرآن العزيز أشرف العلوم، كان الفهم لمعانيه أوفىٰ الفهوم؛ لأن شرف العلم بشرف المعلوم، فلو أنفقت فيه الأعمار ما أدركت كل غوره، ولو بذلت الجهود كلها ما أنضبت من معينه شيئًا يذكر، ومن هنا اجتمعت كلمة علماء الأمة علىٰ العناية بتفسيره، وبيانه، ودراسته، واستدرار كنوزه، والنهل من معينه العذب النمير؛ ولأجل انكبابهم علىٰ دراسته، تنوعت طرائقهم في عرض علومه، واختلفت مشاريعهم في إيضاح مكنوناته؛ ومن هؤلاء الدكتور فريد الأنصاري -رَحِمَهُ اللَّهُ- فمما له من مكانةٍ علميةٍ عاليةٍ في علوم شتىٰ؛ كالتفسير والأصول، مع حصافة رأيٍ وسعة أفق؛ ونظرًا لأهمية الموضوع ومكانته العلمية وقع عليه اختياري؛ ليكون مجال دراستي وبحثي ووسمته بـ: **تعميق تعظيم الله تعالىٰ في القلوب – دراسة في كتاب مجالس القرآن للدكتور فريد الأنصاري** رَحِمَهُ اللَّهُ.

خطة البحث

يتكون البحث من مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهارس، علىٰ النحو الآتي:

المقدمة، وتتضمن: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، وخطة البحث.

التمهيد؛ وفيه ترجمه موجزة للدكتور فريد الأنصاري.

المبحث الأول: مفهوم (تعظيم الله).

المبحث الثاني: مسالك تعظيم الله في القلوب عند فريد الأنصاري.

المبحث الثالث: أثر أسماء الله الحسنىٰ في تعظيم القلوب لله -عزَّ وجلَّ- عند فريد الأنصاري.

المبحث الرابع: ثمرات تعظيم الله في القلوب عند فريد الأنصاري.

الخاتمة: وفيها بيان أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

الفهارس: فتشمل ما يلي: -ثبت بالمصادر والمراجع - فهرس الموضوعات.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

قال ابن القيم عليه رحمة الله: «وليست حاجة الأرواح قط إلىٰ شيء أعظم منها إلىٰ معرفة باريها وفاطرها، ولا سبيل إلىٰ هذا إلا بمعرفة أوصافه وأسمائه، فكلما كان العبد بها أعلَمَ، كان بالله أعرف، وله أطلب، وإليه أقرب، وكلما كان لها أنكر، كان بالله أجهل، وإليه أكره، ومنه أبعد، والله يُنزل العبدَ من نفسه حيث يُنزله العبدُ من نفسه، فالسير إلىٰ الله من طريق الأسماء والصفات شأنُه عَجب، وفتحه عجب، صاحبُه قد سِيقَتْ له السعادةُ وهو مستلقٍ علىٰ فراشه غَيرَ تَعِب»[1].

ومن هنا تبرز أهمية الموضوع، ويعدُّ الدكتور فريد الأنصاري ممَّن تعمقوا في دراسة أسماء الله تعالىٰ وصفاته، وأفردوا لها مجالس ومدارسات، وكيف أثرت تلك المدارسات في معرفة الله -عزَّ وجلَّ-، وكانت إضافة للقارئ ولمكتبة العلوم الشرعية.

أهداف البحث:

تهدف الدِّراسة للوقوف علىٰ حاجة المجتمعات لنشر ثقافة تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- في القلوب من خلال القرآن الكريم؛ لتجدد علاقتها بوحي القرآن، وتنهض من بين آياته لتقود الأمة إلىٰ بر الأمان.

□

(١) طريق الهجرتين (٢١٥).

ترجمه موجزة للدكتور فريد الأنصاري

- الدكتور فريد الحسن الأنصاري الخزرجي وُلِد بإقليم الرَّشيدية، شرق المغرب سنة ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م، أديبٌ مغربيٌ.
- حصل علىٰ الدُّكتوراه في الدِّراسات الإسلامية تخصص أصول الفقه.
- عمل رئيسًا لقسم الدّراسات الإسلامية بكلية الآداب جامعة مولاي إسماعيل بمكناس المغرب، وأستاذًا لأصول الفقه ومقاصد الشريعة بالجامعة نفسها.
- شغل منصب عضو في المجلس العلمي الأعلىٰ بالمغرب.
- توفي بعد صراع مع المرض دام عدَّة سنوات بتركيا في ١٧ ذو القعدة ١٤٣٠هـ، ونقل جثمانه إلىٰ مدينة مكناس، حيثُ دفن بمقبرة الزَّيتون.

مؤلفاته

١- التوحيد والوساطة في التربية الدعوية.
٢- أبجديات البحث في العلوم الشرعية: محاولة في التأصيل المنهجي.
٣- قناديل الصلاة.
٤- الفجور السياسي والحركة الإسلامية بالمغرب: دراسة في التدافع الاجتماعي.
٥- المصطلح الأصولي عند الشاطبي (أطروحة الدكتوراه).
٦- ميثاق العهد في مسالك التعرف إلىٰ الله.
٧- جمالية الدين: كتاب في المقاصد الجمالية للدين.
٨- بلاغ الرسالة القرآنية من أجل إبصار لآيات الطريق.
٩- سيماء المرأة في الإسلام بين النفس والصورة.
١٠- البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي-نحو بيان قرآني للدعوة الإسلامية.
١١- مجالس القرآن من التلقي إلىٰ التزكية.
١٢- مفهوم العالِمية من الكتاب إلىٰ الرَّبانية.
١٣- مفاتح النور-نحو معجم شامل للمصطلحات المفتاحية لكليات رسائل النور- سعيد النّوري.
١٤- الأخطاء الستة للحركة الإسلامية بالمغرب.

١٥- الفطرية - بعثة التجديد المقبلة من الحركة الإسلامية إلىٰ دعوة الإسلام.
١٦- الدين هو الصلاة والسجود لله باب الفرج.
١٧- مجالس القرآن من التلقي إلىٰ البلاغ-مدارسات في رسالات الهدىٰ المنهاجي للقرآن الكريم من التلقي إلىٰ البلاغ.
١٨- كاشف الأحزان ومسالح الأمان.

كان الدكتور فريد الأنصاري عضوًا في رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ومن أعماله الأدبية:

١٩- ديوان القصائد.
٢٠- الوعد
٢١- جداول الرُّوح بالاشتراك مع الشاعر المغربي عبد الناصر لقاح، وديوان الإشارات.
٢٢- كشف المحجوب.
٢٣- مشاهدات بديع الزمان النورسي (ديوان شعر).
٢٤- وآخر الفرسان (رواية).
٢٥- ديوان المقامات.
٢٦- ديوان المواجيد
٢٧- من يحب فرنسا؟ (شعر مشترك مع الشاعر عبد الناصر لقاح).
٢٨- عودة الفرسان (رواية).
٢٩- كيف تلهو وتلعب! (قصيدة) [1].

---

(١) ينظر: مجالس القرآن مدارسات في رسالات الهدي المنهاجي للقرآن الكريم من التلقي إلىٰ البلاغ، للدكتور فريد الأنصاري، دار السلام، جمهورية مصر العربية-القاهرة-الإسكندرية، الطبعة الثانية ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، السيرة الذاتية للمؤلف (٤٠٣-٤٠٥)، وينظر مقال كُتب بقلم: د. عبد الحميد الأنصاري (شقيق الدكتور فريد الأنصاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، جريدة المحجة المغربية العدد (٣٣٠-٣٣١)، عدد خاصّ بالدكتور فريد الأنصاري، المدير المسؤول: المفضل فلواتي، ١٥ محرّم الحرام ١٤٣١هـ-٠١ يناير ٢٠١٠ م.

المبحث الأول: مفهوم (تعظيم الله)

التعريف بالتعظيم لغةً واصطلاحًا، والألفاظ ذات الصلة:

١ – التعظيم لغة:

مَصْدَرُ عَظَّمَ، يُقَال: عَظَّمَهُ تَعْظِيمًا، أَيْ: كَبَّرَهُ وَفَخَّمَهُ. وَالتَّعْظِيمُ يَكُونُ بِاعْتِبَارِ الْوَصْفِ وَالْكَيْفِيَّةِ، وَيُقَابِلُهُ التَّحْقِيرُ فِيهِمَا بِحَسَبِ الْمَنْزِلَةِ وَالرُّتْبَةِ[١].

يقول ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «العين والظاء والميم أصلٌ واحد صحيح يدلُّ علىٰ كِبَر وقُوّة. فالعِظَم: مصدر الشَّيء العظيم. تقول: عَظُمَ يَعْظُم عِظَمًا، وعظّمته أنا. فإذا عَظُم في عينيك قلت: أعْظمتُه واستعظمْتُه. ومُعظَم الشّيء: أكثرهُ. ومن الباب العَظْم، معروف، وهو سمِّي بذلك لقوّته وشِدّته[٢].

وجاء في (لسان العرب): «والعَظِيمُ الذي جاوَزَ قدْرُهُ وجلَّ عن حدودِ العُقول حتىٰ لا تُتَصَوَّر الإحاطةُ بِكُنْهِه وحَقِيقتِهِ»[٣].

والتَعْظيمُ: التبجيلُ، واسْتَعْظَمه: عدَّه عظيمًا، واستعظَمَ وتَعَظَّمَ: تكبر، والاسم العُظمُ، وتَعاظَمَهُ أمرُ كذا[٤]، والعظمة من الذراع واللسان ما غلظ منهما والكبرياء والنخوة والزّهو[٥].

ولقد ورد لفظ (عظم) ومشتقاتها في القرآن الكريم مئة وثمان وعشرين مرة، كلها ترجع إلىٰ عظم بمعنىٰ الكبر والقوة. كقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾[الحج].

٢ – التعظيم اصطلاحًا:

التعظيم: معرفة العظمة مع التذلل لها[٦]، وتعظيم الحقِّ سبحانه: أن لا يجعل دونه سببًا، ولا يرىٰ عليه حقًّا أو ينازع له اختيارًا[٧].

---

(١) ينظر: لسان العرب (١٢/ ٤٠٩: مادة عظم)، ومختار الصحاح (١/ ٤٦٧)، والكليات (١/ ٤٧٣).
(٢) معجم مقاييس اللغة (٤/ ٣٥٥: مادة عظم).
(٣) لسان العرب (١٢/ ٤٠٩: مادة عظم).
(٤) ينظر: الصحاح (٥/ ٢٦٦).
(٥) المعجم الوسيط (٢/ ٦١٠).
(٦) ينظر: مدارج السالكين (٢/ ٤٩٦).
(٧) مدارج السالكين (٢/ ٥٠٠).

والعظيم: اسمٌ من أسماء الله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ [التوبة: ١٢٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ٣٣﴾[الحاقة].

قال الزَّجَّاج رَحِمَهُ اللَّهُ: «والعظيم: المعظَّم في صفة الله تعالىٰ يفيد عِظَم الشَّأن والسُّلطان»(١).

ومِنْ صِفاتِ الله -عزَّ وجلَّ- العَظِيمُ، ويُسبِّح العبدُ رَبَّه فيقول: سبحان رَبِّي العظيم. وإذا وُصِفَ العبدُ بالعَظمة؛ فهو ذَمٌّ؛ لأنَّ العظمة في الحقيقة لله -عزَّ وجلَّ-، وأمَّا عَظَمَةُ العبدِ؛ فكِبْرُه المذمومُ وتَجَبُّره(٢).

ولقد جاءت النُّصوص الشَّرعية من الكتاب والسَّنة في بيان فضل تعظيم الله؛ فمنها: قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾[الفاتحة]، قال القرطبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثمّ الآية الرَّابعة جعلها الله بينه وبين عبده؛ لأنّها تضمنت تذلُّل العبد لربِّه، وطلب الاستعانة منه؛ وذلك يتضمن تعظيم الله تعالىٰ»(٣).

وقد بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمة رَحِمَهُ اللَّهُ أهميةَ تعظيم الله وإجلاله، فقال: «فمن اعتقد الوحدانية في الألوهية لله سبحانه وتعالىٰ، والرِّسالة لعبده ورسوله، ثمّ لم يتبع هذا الاعتقاد موجبة من الإجلال والإكرام، الذي هو حال في القلب يظهر أثره علىٰ الجوارح، بل قارنه الاستخفاف والتسفيه والازدراء بالقول أو بالفعل، كان وجود ذلك الاعتقاد كعدمه، وكان ذلك موجبا لفساد ذلك الاعتقاد ومزيلا لما فيه من المنفعة والصلاح»(٤).

وقال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ عن منزلة التعظيم: «هذه المنزلة تابعة للمعرفة، فعلىٰ قدر المعرفة يكون تعظيم الربّ تعالىٰ في القلب، وأعرف الناس به أشدهم له تعظيمًا وإجلالًا، وقد ذم الله تعالىٰ من لم يعظمه حق عظمته، ولا عرفه حق معرفته، ولا وصفه حق صفته«(٥).

وبهذا نعرف بأن معنىٰ تعظيم الله تعالىٰ: هو علم ويقين العبد بعظمة الله تعالىٰ، وخشيته، والخوف منه، والتذلل له سبحانه.

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (١/ ٤٦).
(٢) ينظر: لسان العرب (١٢/ ٤٠٩).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٩٤).
(٤) الصارم المسلول (١/ ٣٧٥).
(٥) مدارج السَّالكين (٢/ ٤٩٥).

وتعظيم الله سبحانه وإجلاله يتحقق بإثبات الصفات له، كما يليق به جل جلاله، من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تمثيل ولا تكييف.

المبحث الثاني: مسالك تعظيم الله في القلوب عند فريد الأنصاري

إنَّ الله تعالىٰ هو العظيم، فإذا عَظُم في النفوس زكَت وطهُرت، فصارت تخاف هذا العظيم بترك نَهْيه، وترجوه بفعل أمره، فصار التعظيم لله تعالىٰ سبيلًا قويمًا لاستقامة هذا الإنسان علىٰ صراط الله المستقيم، وقد ذكر فريد الأنصاري عدة مسالك لتعظيم الله في القلوب، لكن قبل أن نعرف تلك المسالك لابد

أولًا: من معرفة منهجه وطريقته في عرض مادة مجالسه التفسيرية علىٰ المنهج التالي[1]:

١- تقديم السورة المقصودة بالمدارسة تقديمًا كليًّا، يلخص قضيتها، ويعرف بشخصيتها.

٢- يتم تقسيم السُّورة إلىٰ مجموعة من (المجالس) مرقّمة بشكل ترتيبي، ويجعل كلّ (مجلس) مقتصرًا علىٰ مجموعة من الآيات، ممّا يشكل وحدة متكاملة في ذاته من جهة، وممّا يمكن استيعاب رسالاته في مجلس واحد من جهة أخرىٰ، أي: ممّا تطبق الفطرة البشرية تلقيه من الرسالات القرآنية والحقائق الإيمانية، تخلقًا وتحققًا في مجلس واحد! علىٰ نحو ما كان ينزل من الآيات منجمًا -في عهد الرسالة- علىٰ قلب رسول الله ﷺ؛ ولذلك فقد كانت أغلب المجالس تتمحور مدارساتها علىٰ نحو خمس آيات أو سبع، أو ما يقارب هذه أو تلك، وربما اقتصر المجلس علىٰ مدارسة آية واحدة فقط إذا تبين أنها تحمل من الرسالات ما يستلزم وقتًا أطول لتلقي حقائقه الإيمانية، وذلك علىٰ حسب ما منَّ الله به من تلقي رسالاتها المنهاجية كَمًّا وكَيْفًا.

٣- يُسمّي مجموع الآيات التي هي موضوع الدرس «كلمات الابتلاء»؛ باعتبار أن القرآن الكريم كلام الله، وأنَّ آياته من «كلماته» جل علاه، بما لهذا اللفظ في القرآن من عمق دلالي يرتبط بمعاني السَّعة والشمول من جهة، كما هو واضح من مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾[لقمان]، وقوله سبحانه: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾[الكهف].

ثمّ بما لعبارة «الكلمات» -من جهة أخرىٰ- من ارتباط بحقائق الابتلاء للإنسان المتلقي لها، «فكلمات الله» المنزلة هي حقائق الابتلاء، ومعاني التكليف التعبدي بهذا

---

(١) ينظر: مجالس القرآن (١٠١ - ١٠٥).

الدين في العقائد والعبادات والتصرفات؛ ومن هنا كانت مقتضياتها ثقيلة: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾[المزَّمل].

وعلىٰ هذا جاء قول الله تعالىٰ في محكم كتابه: ﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٢٤﴾[البقرة]، وقوله سبحانه: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝٣٧﴾[البقرة]؛ فقد كانت الكلمات التي تلقَّاها إبراهيم عليه السلام هي الابتلاءات الإيمانية التي امتحن بها، وكان من الفائزين الكُمَّل، كما كانت الكلمات التي تلقاها آدم عليه السلام هي عبارات التوبة وحقائقها الوجدانية، فكان من المسارعين إلىٰ ربه تائبًا إليه منيبًا. ومن هنا: كان القرآن كلّه «كلمات»، أي: آيات للعمل والتطبيق، وحقائق للابتلاء والتكليف! لا مجرد كلام للقصِّ أو التأريخ، بل هو عمل وامتحان. والنَّاس إزاؤه بين مُتِمٍّ لكلماته أو مُقَارِبٍ أو خائنٍ؛ إذ كلّ كلمة من كلمات الله إنما تُتَلَقَّىٰ رسالتُها من هذا القرآن، من خلال الدُّخول في ابتلاءاتها تخلُّقًا وتحقُّقًا. ولا يتم ذلك للنَّفس إلَّا بمكابدة ومجاهدة، ومن هنا ثَقُل الابتلاء التّربوي بهذا القرآن.

وقد كابد الرَّسول ﷺ تلقي القرآن خلال ثلاث وعشرين سنة! وكابد معه أصحابه رضوان الله عليهم مكابدة، حتىٰ تحقَّقُوا من «معيته الإيمانية» ﷺ خُلُقًا ربانيًا رفيعًا؛ وبهذه السِّيماء مدحهم الله تعالىٰ، وأثنىٰ عليهم في القرآن، فقال تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾[الفتح: ٢٩].

فلم يكن القرآن في حياة الرَّسول ﷺ وصحبه مجرد مرجع قانوني، ولا مجرد توثيق للأخبار والحقائق التاريخية، ولا مجرد قص لإشباع فضول المعرفة البشرية كلا! كلا! بل كان كتاب الله الكامل الشامل، الحامل رسالاته إلىٰ الناس أجمعين؛ ابتلاءً لهم بحقائقها قولًا وعملًا، ومنهاج حياة يسلكونه في الأرض علىٰ مستوىٰ كل نفس في نفسها خاصة، وعلة مستوىٰ الاجتماع العمراني البشري عامة، علىٰ سبيل التعبد، توحيدًا وتفريدًا لله الواحد القهار! ودون ذلك ما دونه من ثقل الأمانة ودة وقعها علىٰ النفس، ومن ثَمَّ لم يكن من السهل علىٰ الإنسان أن يتلقىٰ رسالات هذا القرآن جملة واحدة! بل كان من رحمة الله بالعباد أن نزَّله عليهم عبر رسالات تترىٰ، الواحدة تلو الأخرىٰ، آيات آيات، قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا

﴿١٠٦﴾ [الكهف]، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾[الفرقان]. وذلك حتىٰ يكون لكلّ كلمة أثرها الفعلي في الأرض علىٰ مستوىٰ الممارسة البشرية والتنفيذ التعبدي، وهو معنىٰ «الكلمات». فمن استجاب لابتلائها كانت له صِفَةً وخُلُقًا، ومن خانها لم يكن منها ولا كانت منه في شيءٍ، وعلىٰ هذا المعنىٰ جاء قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في حقِّ رسول الله ﷺ: «كان خُلُقه القرآن»[1]. وبذلك المنهاج الرَّباني العظيم تمَّ بناءُ المجتمع الإسلامي الأوّل، علىٰ عهد سيدنا محمد ﷺ. ذلك هو القرآن وتلك هي كلماته، ومن رام الاشتغال بدعوته خارج هذه الحقيقة المنهاجية العظمىٰ؛ فقد رام المحال.

٤- بعد عرض كلمات المجلس للتلاوة والتدبر، يورد خلاصة تفسيرية تحت عنوان: «البيان العام». والمقصود بالبيان العام هاهنا: عرض خلاصة ما قاله المفسرون في الآيات موضوع الدرس، وما منَّ الله به إزاءها من معان، وذلك بمنهج يرمي إلىٰ التلخيص والتيسير، دون الإغراق في الجدل الكلامي، أو الاستطراد اللغوي، أو التفريغ الفقهي، إلَّا ما دعت إليه ضرورة البيان؛ إذ الهدف إنَّما هو تلقي الحقائق الإيمانية والرِّسالات القرآنية، قصد تيسير العمل بها.

٥- إذا تمّ ذلك ينتقل إلىٰ عرض ما يسر الله تَلَقيه من الهُدَىٰ الوارد في تلك الآيات، وذلك من خلال تخصيص فقرة من تصميم الدِّراسة تحت عنوان: «الهُدَىٰ المنهاجي»[2]. والمقصود بالهدىٰ المنهاجي: هو ما تحصل للقلب من الكلمات المتلوة أعلاه -بعد التدبر- من رسالات منهاجية، توضح خطوات السير القلبي إلىٰ الله دينًا ودعوة، تعرفًا إليه وتعريفًا به تعالىٰ، وتبين مسلك بناء الشخصية الإسلامية في كل ما يلزمها من معانٍ تعبدية وعمرانية، مما جاء هذا القرآن لبنائه في الإنسان فردًا وجماعةً، في طريق إخراج الأمة المسلمة. ومن هنا فإننا نعمد إلىٰ تقسيم حقائق «الهُدَىٰ المنهاجي» إلىٰ مجموعة من «الرسالات»، نعرضها الواحدة تلو الأخرىٰ تحت عناوين مستقلّة تيسيرًا أيضًا لتلقي أحكامها وحِكَمِها، فكلّ رسالة تشكل في نفسها ابتلاءً عمليًّا، أو خطوة إيمانية

(١) رواه مسلم (٧٤٦).

(٢) هو من اصطلاح أستاذ الأجيال – الدكتور الشاهد الوشيخي، رائد المدرسة القرآنية بالمغرب تعليمًا ودعوةً، ينظر: مجالس القرآن (١٠٣).

من خطوات إصلاح النفس، ومدرجًا من مدارج الترقي بمعارج القرآن، سيرًا إلىٰ الله تعالىٰ رغَبًا ورهَبًا[١].

٦- ثمّ يعرج في آخر كلّ مجلس علىٰ بيان المسلك العملي للدُّخول في تلك الحقائق الإيمانية جميعًا، والمنهاج التطبيقي الميسر الذي يُمَكِّن القلب من التخلق بما تلقَّىٰ من رسالات الهدىٰ. فجعل ذلك بعد -عرض «الرسالات»- في فقرة خاصَّة تحت عنوان: «مَسْلَكُ التَّخَلُّقِ». وهكذا يمضي حتىٰ نهاية السورة.

٧- حتَّىٰ إذا كان المجلس الخاتم جعل بعده مباشرة «خاتمة»، ترجع علىٰ أهم حقائق السُّورة المدروسة بالتَّذكير، مع النَّظر في علاقتها بالنفس تحقيقًا وتقويمًا.

وبهذا وذاك نرجو أن يتم للمؤمن «تَلَقِّي» حقائق القرآن؛ إذ التلقي للآيات هو غير التلاوة التَّبَرُكية العامَّة، بل هو أعمق من ذلك، إنَّه تفاعل وجداني مع حقائقها الإيمانية، ودخول فعلي تحت ابتلاءاتها الربانية؛ بما يُخْضِعُ النفسَ لمشارطها ومقارضها تشذيبًا وتهذيبًا فهي بذلك إذن تخضع لعمليات جراحية روحية، تستأصل زوائد الأمراض وخبائثها من أعماق القلب؛ تخليصًا له من أهوائه الضالة وعاداته الفاسدة عسىٰ أن يخرج بذلك عن داعية هواه، فيكون عبدًا خالصًا لله.

ومن هنا؛ فمَنْ تحقَّق بتلقي كلمات الله من القرآن؛ فقد تحقّق بأهمّ مفتاح من مفاتح القرآن، وإنما يُنال ذلك كله بشرطين، أولهما: الصَّبر علىٰ المكابدة، وثانيهما: إخلاص قصد السَّير إلىٰ الله، وإنَّه ليسير علىٰ من يسَّره الله له وأكرمه بهُدَاه، قال تعالىٰ: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾[الحديد]، وقال تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾[البقرة].

---

(١) إيراد الدكتور فريد الأنصاري للرسالات المستنبطة من الهدىٰ المنهاجي لا يعني الحصر طبعًا، بل استنباط المزيد من رسالات الهدىٰ بابه مفتوح إلىٰ يوم القيامة؛ لأنّ كلمات الله تعالىٰ لا يحدها حدّ، ينظر: مجالس القرآن (١٠٤).

ثانيًا: مسالك تعظيم الله في القلوب عند فريد الأنصاري

تعددت مسالك التعظيم عند فريد الأنصاري لكننا نلحظ أن بدأ بالتبرؤ من الشيطان وأعقبه بالالتجاء إلىٰ الله تعالىٰ ثم الأسماء الحسنىٰ ومنها إلىٰ تدبر القرآن واستشعار كونه من الله عند قراءته، وهذا ما يطلق عليه العلماء التخلية قبل التحلية – أي تخلية القلب من الشركيات قبل تحليته بمسالك الإيمان- وإليكم التفصيل:

١ – التبرؤ من الشيطان.

لا بَدْءَ في طريق الله، ولا فَتْحَ للعبد الطّارِقِ أبوابَ معارجِ القرآن؛ إلا بإعلان الولاء لله الحق، والانتظام في صف العابدين له وحده دون سواه! وإعلان معاداة الشيطان بما هو عدو لله رب العالمين، والتبرؤ منه ومن حزبه وأتباعه!

وإنما الاستعاذة فتح عين القلب علىٰ بصيرة قرآنية عظمىٰ، لا يجوز نسيانها أبدًا، هي قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾[فاطر]، إنَّ الاستعاذة ليست مجرد عبارات تُلْقَىٰ في الهواء فحسب، ولكنها اتخاذ موقف فَتَدَبَّرْ![1].

٢ – الالتجاء إلىٰ الله والافتقار إليه.

لا قوة للعبد علىٰ الانطلاق وبدء السير إلىٰ الله والتعرف إليه تعالىٰ؛ إلا بالاحتماء به، والالتجاء إليه ابتداءً! فلا وصول إليه بمجرد الجهد الخاص والكسب الذاتي، بل لابد من استدرار توفيقه ورحمته، فالهداية والتوفيق والسداد، كل ذلك إنما هو بيده وحده جل علاه! وذلك من صميم التوحيد والإخلاص.

وتحقيق معنىٰ الاستعاذة في النفس تَخَلُّقٌ عميقٌ بهذا المعنىٰ العظيم.

ولا صحة لعمل –من حيث القصد التعبدي الخالص- إلا باستدراج هذا الأصل الإيماني في عمق القلب، نيةً تعبدية خالصةً، لتخليص العمل وتصفيته من كل مَنٍّ، ومِنْ كُلِّ حَوْلٍ وقوةٍ، إلا ما كان بالله وله، وحده دون سواه[2].

قال فريد الأنصاريُّ: من هنا تبدأ أولىٰ دروس التزكية بمدرسة (عباد الرحمن): إنه درس تحقيق الذلة لله والافتقار الكامل إليه جلّ عُلاه؛ حيث يشرب المؤمن من هذا المورد حتىٰ

---

(١) ينظر: مجالس القرآن (١/ ١٢٠).

(٢) مجالس القرآن (١/ ١٢٠-١٢١).

تخشع قدماه ويطيب ممسشاه. فمقاربة الذلة والافتقار لله رب العالمين شرط الصلاح في كل المؤمنين، لكن كمال الذلة له تعالىٰ وتمام الافتقار؛ حتىٰ لا يرىٰ العبد من عمله شيئًا إلا بالله، وحتىٰ تئن خطوته خوفًا من الله، هو أول مفتاح النجاح بمدرسة عباد الرحمن، ولا تستقيم دعوة إلىٰ الله بغير ذلك فاشْهَدْ سجدةَ القلب بين يدي مولاك مقامًا لا تَزِلُّ عنه أبدًا[١].

٣ – الأسماء الحسنىٰ.

فيا نفسي الأمّارة، واهِمَةٌ أنت، كيف تستطيعين العيش خارج جمال الرحمة الإلهية؟ وهذه أنوارها الكبرىٰ تمتد إلىٰ العالمين بأسرار الأسماء الحسنىٰ وبركاتها.. تفيض علىٰ العباد بلطف الرعاية، ونور الهداية! كيف؟ وهذا نور الرحمن –جلَّ جلاله–؛ لو انقبض عنكِ –لأقَلَّ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ– لكنتِ عدمًا في عدم! ويحك! ومن ذا في الكون قائم بغير اسمه تعالىٰ؟ فأعلني الانتساب إلىٰ الله. وتأدبي عند طرق بابه الكريم؛ معتصمة بسر الاسم: الله الرحمن الرحيم؛ يَكُنْ لكِ ما تقصدين إن شاء الله[٢].

وقال أيضًا: التعرف إلىٰ الله وعلىٰ مقامه العظيم؛ بمداومة النظر في كتابه تلاوةً وتدبرًا، وخصوصًا ما تعلق منه بآيات الخلق والتقدير، والرعاية والتدبير، والإحياء والإماتة، وسائر شؤون ربوبيته ومقتضيات إلهيته، وما تعلق بذلك كله من أسمائه الحسنىٰ خاصةً، فإنها مفتاح عظيم للتعرف إلىٰ الله ومحبته، كما يكون ذلك بمداومة النظر في كتاب الكون ومشاهدة آيات الله فيه، والتفكر في جمال خلقه ودقة صنعه، وسَعَةِ مُلكه وعظمة سلطانه، ومشاهدة تجليَّات أسمائه الحسنىٰ في مسيرة الكون كله أرضه وسمائه، وفي معارض تحولات الملكوت ما بين أزمنته وفصوله، ومنازل أفلاكه وكواكبه، فإن في ذلك ما يملأ القلب رَغَبًا ورَهَبًا، ويزيده تقربًا إلىٰ الله تعالىٰ ومعرفة به [٣].

٤ – تدبر القرآن واستشعار كونه من الله عند قراءته.

هذا القرآن رسالة الله المنزلة من السماء إلىٰ الأرض؛ لتعريف الإنسان بربه، وبوظيفته التي خُلق من أجلها، ثم لتنظيم حياته في علاقته بنفسه ومحيطه، ولرسم طريق العودة إلىٰ الله، فمن أخذ به وصل، ومن أعرض عنه ضل، وكفىٰ بذلك حقيقة كونية عظمىٰ في أن عمق القرآن يمتد

(١) مجالس القرآن (١/ ٢٤٥).
(٢) مجالس القرآن (١/ ١٢٦).
(٣) مجالس القرآن (١/ ٣٧٠).

إلىٰ عالم الشهادة؛ ولذلك فأسراره لا تنتهي أبدًا، ومن هنا فهو يتضمن الهُدىٰ الذي تحتاجه البشرية في مجموعها، والهُدىٰ الذي تحتاجه كل نفس في نفسها، فهو المسلك الجامع لكل المسالك، والمشرب الذي يرفد كل المشارب من موارد الخير والصلاح، علىٰ امتداد الزّمان، فلا تستهن بعطاءات القرآن فتكون من المغبونين، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾[لقمان].

فالمتكلم بهذا القرآن إنما هو الله رب العالمين، فلا يغب عنك هذا عند تلقي رسالاته؛ فَتُحْجَبَ عن أنواره وأسراره، ثم لا تكون من الداخلين في جمال رحمته، المشمولين بلطفه وغفرانه فاقرأ القرآن وتلقَّ الهدىٰ والنور عن الله مباشرةً تكن من المبصرين[١].

٥ – تعظيم الله بالإيمان باليوم الآخر.

فإن نعمة الإيمان باليوم الآخر؛ بما هو منقذ للبشرية من الخسران المبين، ونجاة لها من المصير الرهيب، لهي من أجلِّ النعم، فلا يملك المؤمن إزاءها إلا الحمد لله كل الحمد، والشكر الدائم له جل علاه؛ بما أنعم علىٰ عباده الصالحين من الإيمان بالساعة وإنها لمن أعظم النعم حقًا! وذلك بما تتيحه للمؤمن من الاصطفاف مع قوافل العابدين السائرين إلىٰ الله، قال: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾[الفتح: ٢٩]. وبما يستفيده العبد من ذلك كله، من جمال الأمان وتمام الخوف والرجاء في جمال رائق لا يوازيه من زخرف الدنيا شيء البته. فتبين إذن أن التقوىٰ هي أعظم زاد وجب علىٰ المسلم –بَل الداعية إلىٰ الله– أن يتزوَّد به للآخرة! وأن العاقل هو من شَمَّرَ عن ساعد الجد للعمل من أجل هذه الحقيقة، وترك ما دون ذلك من القيل والقال، وكثرة السؤال عما لا ينفع ولا يغني من ضروب المحال وسائر ما يشغله عن المقصد القرآني الجليل، ويفتنه عن قضيته الكبرىٰ مع مولاه ويلهيه عن القيام بحقوقه جل علاه[٢].

ويقول أيضًا: فيا أخي في طريق الآخرة بين يديك الآن في سيرك إلىٰ الله أمور منها: حَادٍ تستصحبه. وأما الحادي الذي تستصحبه: فهو مَشْهَدُ الحشر إلىٰ الله، كما تصوره لك البصائر القرآنية المبينة مَشْهَدُ الأمم من العالمين إنسًا وجنًّا،ووحشًا وطيرًا، وهم ينسلون من قبورهم،

(١) مجالس القرآن (١/ ١٦٨).
(٢) مجالس القرآن (١/ ١٧٩).

ويتدفقون في هلع رهيب إلىٰ ساحة المحشر الكبرىٰ. كل منهم قد أهمته نفسه، ونفسه فقط ولا تنسَ يا صاح! فأنا وأنت هنالك بين أمواجهم! يا الله! وما أيقضه لها من غفلتها وما أشده تنشيطًا لها في سيرها إلىٰ مولاها جل علاه[1].

٦ – تعظيم الله بالنظر في عظيم مخلوقاته.

ثم يستأنف –جلَّ وَعَلا – عرض مَشَاهِدِ قدرته الفرقانية في الطبيعة، لتطمين عبده علىٰ قوة فرقانية القرآن، وعظمة سلاحه، فبين كيف أنه سبحانه خلق البحار متلاطمة الأمواج، وَمرَجَ بعضَها ببعض، أي: وَصَلَ بعضَها ببعض.

وقد يكون منها البحر ذو المياة العذبة، والبحر ذو الملوحة الشديدة، ثم تتكسر أمواج بعضهما علىٰ بعض، دون أن يؤدي ذلك إلىٰ اختلاط مياههما كليًّا! لِمَا جعل جل جلاله بينهما الحِجْر، أي: المنع والفرق، وهو الحاجز المائي الذي يفرق بين البحرين المتجاورين المتداخلين، فيحفظ لكلِّ مياه خصائصها وبيئتَها، فلا يؤثر بعضعها علىٰ بعض سلبًا.

ثم يبن فرقانيته العظيمة في مشهد تكويني آخر، وهو خَلْقُهُ سبحانه بشرًا سويًّا، مِنَ الماء المهين الذي يمنيه الإنسان، حتىٰ إذا أتم خلقه وتكوينه في بطن أمه، أخرجه إلىٰ الوجود علىٰ أعلىٰ ما يكون الخلقُ دِقَّةً وصِنْعَةً وجَمالًا! بما يبهر العقول ويحيرها! فيجعل منه ذرية تتناسل، لتكوين قرابة النسب وقرابة المصاهرة، ويجعل ذلك كله أساسًا متينًا لتكوين الأرحام، ثم يجعل سبحانه لكل رحم أسرة خاصة؛ بما يحفظ لها خصائصها الوراثية خِلْقَةً وطبيعةً علىٰ مدىٰ السنين رغم تداخل تلك المياه البشرية بالزواج من هاهنا ومن هاهنا! تمامًا كاحتفاظ كل بحر من البحار بخصائصه رغم مَرْج بعضها ببعض، وذلك من أعظم مظاهر قدرة الله، ولذلك قال: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤].

فكذلك هذا القرآن سلاح فرقاني، يفرق به الله جل جلاله بين الحق والباطل فما أخذه عبدٌ مؤمن بالله، مجاهدًا به الكفر والضلال! إلا وكانت له هذه الخصائص الفرقانية العظيمة التي عُرض مثلها في مشاهد القدرة الإلهية في المياة البحرية والإنسانية، تفريقًا وتمييزًا، وكذا خلقًا وإنتاجًا وتقديرًا.

---

(١) مجالس القرآن (١/ ١٨٤).

ولأن الإنسان مع كل هذه الدلائل العظيمة علىٰ قدرة الله وإنعامه علىٰ خلقه، يشرك بالله، ويعبد من دونه من لا قدرة له البتة وما لا ينفعه إن رجل نفعه بعبادته، ولا يضره إن تركها إلا ما يتوهمه من تلبيسات الشيطان[١].

٧ - تعظيم الله بالنظر في نعمه.

فإن تحقيق عداوة العبد للشيطان وبغضه، هو وجنده من الإنس والجن، وإخلاص المحبة لله رب العالمين توحيدًا وتفريدًا، فإنما يتحقق بالتعرف علىٰ الله ذي الجلال والإكرام، وعلىٰ فضله العظيم، وما أسبغه علىٰ عباده من نعم، ومشاهدة حِلمه الكبير علىٰ حماقاتهم، عندما يغفلون وينحرفون، مما يبثه إبليس في نفوسهم، وكذا ما شرعه لهم سبحانه من جمال التوبة، التوبة النصوح التي تمحو الخطايا وتمسح الذنوب؛ حيث يَمُنُّ سبحانه علىٰ عبده المذنب- أنَّىٰ كانت ذنوبه – بالعفو والغفران، وترىٰ كيف أنه تعالىٰ يمد حبل المحبة إلىٰ عباده، وكيف يتلبس الشيطان بالإنسان ليغريه بقطعه؛ حتىٰ يلتحق بحزبه وجنده، ويكون من المفسدين، فأي شر بعد هذا وأي فساد؟![٢].

وقال أيضًا: أما مسلك التخلق بهذه المقامات الإيمانية الرفيعة، وتحقيق النجاح في ابتلاءاتها الرسالية العظيمة؛ بما يفني « الأنا« في طاعة الله، ويحلي العبد بأدب حب الله، حتىٰ لا يقوم إلا لله وبه فهو راجع إلىٰ مجاهدة النفس -في خلواتها وجلواتها- وتغذيتها بمداومة الأوراد التفكرية التالية:

مشاهدةُ نِعَمِ الله العظيمة علىٰ العبد! ومطالعة تجلياتها المادية والمعنوية، خَلْقًا وَرِزْقًا ورعاية وهداية بما يقتضي غَرَق العبد في العجز التام عن مشاهدة «أناه» الواهمة الكاذبة والخجل من النظر إلىٰ عمله الصالح الضئيل جدًّا فيما ينبغي لله من حقوق إزاء نعمه العظيمة بَلْهَ النظر إلىٰ سيئاته وذنوبه الكثيرة[٣].

---

(١) مجالس القرآن (١/ ٢٢٩-٢٣٠).

(٢) مجالس القرآن (١/ ٣٣٥).

(٣) مجالس القرآن (١/ ٤٠١).

المبحث الثالث: أثر أسماء الله الحسنى في تعظيم القلوب لله -عزَّ وجلَّ- عند فريد الأنصاري

الإنسان يشرف بقدر ما يعلم، والعلم بالله أشرف العلوم، فكلما تعمقت في أسماء الله الحسنىٰ كان تعظيمك لله أكبر، وكانت طاعتك أكثر، وكانت مسارعتك إلىٰ رضوانه أكثر، فأصل الدين معرفة الله.

إذن؛ فالطاعة مرتبطة بالتعظيم والتعظيم مرتبط بأسماء الله الحسنىٰ، فمعرفة الله والإيمان به وتعظيمه ليس شيئًا طارئًا لينقذ الإنسان نفسه من الهلكة، ومن هنا ينبغي:

١- التعرف إلىٰ الله وعلىٰ مقامه العظيم؛ بمداومة النظر في كتابه تلاوةً وتدبرًا، وخصوصًا ما تعلق منه بآيات الخلق والتقدير، والرعاية والتدبير، والإحياء والإماتة، وسائر شؤون ربوبيته ومقتضيات إلهيته، وما تعلق بذلك كله من أسمائه الحسنىٰ خاصةً، فإنها مفتاح عظيم للتعرف إلىٰ الله ومحبته، كما يكون ذلك بمداومة النظر في كتاب الكون ومشاهدة آيات الله فيه، والتفكر في جمال خلقه ودقة صنعه، وسَعَةِ مُلكه وعظمة سلطانه [١].

٢- مشاهدة تجليَّات أسمائه الحسنىٰ في مسيرة الكون كله أرضه وسمائه، وفي معارض تحولات الملكوت ما بين أزمنته وفصوله، ومنازل أفلاكه وكواكبه، فإن في ذلك ما يملأ القلب رَغَبًا ورَهَبًا، ويزيده تقربًا إلىٰ الله تعالىٰ ومعرفة به[٢].

٣- مشاهدة تجليَّات أسمائه الحسنىٰ علىٰ كل شيء، خلقًا وتقديرًا ورعايةً وتدبيرًا، مشاهدة تجعل المؤمن يحقق توحيد الأولوهية في سيره إلىٰ الله، رغبًا ورهبًا، بما ينبغي له سبحانه من كمال الجمال وعظمة الجلال[٣].

٤- استحقاق اسم الله العظيم «الرحمن» من أسماء الله الحسنىٰ أن ينال ضربًا من الاستقلال في الدلالة علىٰ الذات الإلهية، بما جمعت من شؤون الربوبية وكمال الألوهية! فكاد يكون رديفًا لاسم الجلال الأعظم: الله جلَّ جلاله!

لا يوازيه في ذلك اسم آخر مما علمنا الله -تبارك وتعالىٰ- من سائر الأسماء الحسنىٰ!

---

(١) ينظر: مجالس القرآن (١/ ٣٧٠).

(٢) ينظر: مجالس القرآن (١/ ٣٧٠).

(٣) ينظر: مجالس القرآن (١/ ٢٣٠).

وقد اشتمل اسم الرحمن علىٰ صفة الرحمة من غير تنافٍ بين الاسم والصفة؛ ولذلك جاء ذكره في القرآن تابعًا للفظ الجلالة كما في البسملة، وجاء اسمًا غير تابع كما في المواضع الأخرىٰ التي ذكر فيها، قال ابن القيم: « فالرحمن اسمه تعالىٰ ووصفه لا تنافي اسميتُه وصفيتَه، فمن حيث هو صفة جرىٰ تابعًا علىٰ اسم الله، ومن حيث هو اسم ورد في القرآن غير تابع، بل ورود الاسم العلم، ولما كان هذا الاسم مختصًا به تعالىٰ حسنَ مجيئه مفردًا غير تابع كمجيء اسم الله كذلك، وهذا لا ينافي دلالته علىٰ صفة الرحمن كاسم الله تعالىٰ؛ فإنه دال علىٰ صفة الألوهية ولم يجيء قط تابعًا لغيره، بل متبوعًا، وهذا بخلاف العليم والقدير والسميع والبصير ونحوها؛ ولهذا لا تجيء هذه مفردة بل تابعة. فتأمل هذه النكتة البديعة يظهر لك بها أن الرحمن اسم وصفة لا ينافي أحدهما الآخر، وجاء استعمال القرآن بالأمرين جميعًا.

وقد ذكر الدكتور فريد في (مجلسه الثاني عشر) في مقام التلقي لعزائم التوكل. والتزود من أسرار اسم الله (الرحمن): أنَّ الكريم سبحانه منَّ علىٰ عباده ببيان جمال اسمه العظيم «الرحمن» وما يكتنزه من أنوار وأسرار عدَّة دلائل، منها:

١- كثرة وروده في كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله ﷺ دالًّا علىٰ ذات الله، علىٰ سبيل العَلَميَّة المستقلة بالتسمية إطلاقًا، بما يقارب لفظ الجلال: الله!

ثمّ ضرب مثالًا لتكرار اسم الله «الرحمن» في (سورة مريم) من قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم].

وقد علق الرَّازيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: «إنَّما كرَّر لفظ الرَّحمن مرات؛ تنبيهًا علىٰ أنَّه سبحانه وتعالىٰ هو الرَّحمن وحده من قبل أنَّ أصول النِّعم وفروعها ليست إلَّا منه»[1].

٢- لولا خصوصية هذا الاسم العظيم لما كان معطوفًا علىٰ اسم الجلال «الله» علىٰ سبيل الترادف في المحبة الإلهية كما وردت به السنة النبوية الصحيحة، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «أحب الأسماء إلىٰ الله: عبد الله وعبد الرحمن.

(١) تفسير الرازي (٢١/ ٢١٧).

٣- أنَّ اسم «الرَّحمن» له من الإحاطة والشمول بمعاني الربوبية جلالها وجمالها ما ليس لسواه من الأسماء الحسنىٰ منفردًا، إلا اسم الجلال الأعظم «الله».

٤- أنَّ المؤمن يتقرَّب إلىٰ مولاه ويجتهد، عسىٰ أن يناله من أنواره ما يجعله من «عباد الرحمن»، ولكن بعد أن يتعرف إليه تعالىٰ من خلاله -أي: من خلال هذا الاسم الكريم- ويسعىٰ إليه بما يقتضيه من أعمال.

٥- أنَّ من أبىٰ السَّير إلىٰ الرَّحمن فهو من أجهل الجهَّال كما فعل الكافرون حين قيل لهم: ﴿ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ﴾ [الفرقان: ٦٠] عبادة وتوحيدًا وإخلاصًا. قالوا: ما نعرف ما «الرحمن»، ثمّ قالوا علىٰ سبيل الإنكار والتجهيل والاستكبار: أنسجد لما تأمرنا بالسجود له؛ طاعة لأمرك أنت يا محمَّد؟ فما زادهم دعاؤهم إلىٰ السجود للرحمن إلا بُعدًا عن الإيمان ونفورًا منه، بسبب الكبرياء الذي طمس علىٰ بصائرهم، إذ ضيعوا فرصة العمر في التعرف إلىٰ الله باسمه العظيم جل جلاله: «الرحمن».

٦- وهنا: تعظم بركات الرحمن وتكثر خيراته بما جعل في السَّماء من بروج وشموس وقمرا منيرا، وبما قدر من ليال متعاقبات تلك الصور الكونية العجيبة التي لا اضطراب فيها ولا اختلال، مما يدل علىٰ عظمة قيوميته تعالىٰ علىٰ ملكه، خلقًا وتقديرًا، ورعاية وتدبيرًا. كلّ ذلك تسخيرًا من «الرحمن» لعباده، ونعمة منه وفضلًا.

وبهذا نجد أن التعرف إلىٰ اسم الله «الرحمن»، والتزود من أسراره وأنواره، هو المدخل التأهيلي للداعية إذا أراد أن يتخلق بإمامة المتقين ويتحقق بها. خاصَّة وأنَّ مدرسة «عباد الرحمن» عالية البرامج تؤهلك للحصول علىٰ شهادة «الإمامة» في التَّقوىٰ، وإنما يؤهلك الدخول إلىٰ هذه المدرسة كثرة ترويض النفس علىٰ التحلي بمقامين اثنين:

الأوَّل: مقام التذكر، وهو تحصيل الذكرىٰ للقلب.

والثَّاني: مقام الشكر، ويحصل بكثرة السجود للرحمن.

ممَّا يدل علىٰ سعة هذا الاسم العظيم وشموليته لكل شؤون الربوبية العظمىٰ تمامًا كما لاسم الجلال: «الله» جلَّ جلاله[1].

---

(١) ينظر: مجالس القرآن (١/ ١٢٩-١٣٠)، (١/ ٢٣٦-٢٣٧).

المبحث الرابع: ثمرات تعظيم الله في القلوب عند فريد الأنصاري

لتعظيم الله في القلب ثمرات يجنيها المعظِم ذكر منها فريد الأنصاري ما يلي:

١- تربية القلب علىٰ صفاء الإخلاص لله -عزَّ وجلَّ-، بتخليص القصد وتصفيته لله الواحد الأحد؛ حتىٰ يتحقق المؤمن بمقام الإخلاص صفة جوهرية، وخلقًا تلقائيًا؛ بما يجعله عبدًا لله حقًا وصدقًا [(١)].

فإذا أخلصت له وحده بما تسعىٰ إليه من تعظيمه وتدبر لكتابه؛ فتح الله لك من أنوار القرآن ما يشرق علىٰ قلبك بمعرفة الله جل جلاله، ويضيء وجدانك بمحبته تعالىٰ! وذقتَ حقًا جمال القرآن العظيم! وشاهدت من ملكوته ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر.

٢- قيمة الكلام إنما هي بقيمة من تكلم به، وإنما يتعرف المؤمن علىٰ عظمة القرآن، عندما يتعرف علىٰ عظمة المتكلم بالقرآن: الله رب العالمين.

فإذا أبصرت هذا السر انكشفت لك كنوز القرآن؛ ولذلك قال سبحانه بعدُ مباشرة، عل يسبيل التعريف بمنزلة القرآن، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ [الفرقان].

٣- تخليص العمل وتصفيته من كل مَنٍّ، ومِنْ كُلِّ حَوْلٍ وقوةٍ، إلا ما كان بالله وله، وحده دون سواه.

ولا صحة لعمل -من حيث القصد التعبدي الخالص- إلا باستدراج هذا الأصل الإيماني في عمق القلب، نيةٌ تعبدية خالصةً [(٢)].

وذلك بتفريغ القلب من الأهواء، والتجرد لله من كل حول وقوة، والدخول إلىٰ جنة كتابه بافتقار كامل وبعبدية خالصة [(٣)].

٤- طمأنينة القلب وانشراحه.

صفة الخالقية -في ذات الله تعالىٰ- هي الباب الأعظم لمشاهدة جلال الربوبية، والتعرف علىٰ مقام الله العظيم، وقَدْرِهِ حَقَّ قَدْرِهِ وتلك معرفة رفيعة تشرح القلب وتهيئه لتلقي النور من سائر الأسماء الحسنىٰ [(٤)].

---

(١) ينظر: مجالس القرآن (١/ ١٣٧)، (١/ ١٤٦).
(٢) ينظر: مجالس القرآن (١/ ١٢٠-١٢١).
(٣) ينظر: مجالس القرآن (١/ ١٥٥).
(٤) ينظر: مجالس القرآن (١/ ٣٥٦).

وقد ذكر د. فريد الأنصاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ حكمة عندما اشتعلت الحرب العالمية الثانية وُجِدَ حكيمُ القرآن الأستاذ بديع الزمان النورسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ غير مبالٍ كثيرًا بأحداثها، والناس آنئذ في هلع عظيم، فسئل في ذلك، فقال: إنني منشغل بما هو أعظم، فقيل: وهل هناك شيء أعظم من الحرب العالمية؟ قال: نعم، يوم القيامة [(١)].

٥- الثقة بالله وبخبره وطلبه.

ومن هنا؛ جاء الرد من السماء قويًّا بيّنًا يتحدىٰ، علىٰ أقوىٰ ما يكون التحدي والبيان جاء قاطع الدلالة، بما تحمل الكلمات من العظمة والرهبة، علىٰ أن المتكلم الآن -كما هو الشأن في كل القرآن- إنما هو الله رب العالمين.

فقال الله -جلَّ جلاله- لرسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ ﴾ [الفرقان]، وهكذا يعبر مرة أخرىٰ باسم الموصول: «الذي»، دون التصريح باسم الجلالة «الله»، تنبيهًا للمتلقي إلىٰ التركيز علىٰ ما تتضمنه صلة الموصول من معانٍ وصفات، وهو عِلْمُهُ تعالىٰ بأسرار السماوات والأرض، فصاحب ذلك العلم المحيط بأسرار الكون كله هو المتكلم الآن، وهو منزل هذا الفرقان، وهو سبحانه فوق سماواته، محيط بكل مخلوقاته علمًا وتدبيرًا.

فإذا تكلم تعالىٰ تكلم من عل محيطًا بكل شيء؛ ولذلك جاء هذا القرآن محمّلًا بكل شيء من أسرار السماوات والأرض، مما تحتاجه البشرية لتدبير حياتها وبناء عمرانها، في علاقتها بنفسها ومحيطها، وفي سيرها إلىٰ ربها والتعرف إلىٰ خالقها[(٢)].

٦- البعد عن الشرك والمعاصي.

الشرك هو فيصل الولاء والبراء في الدين، فهو الذنب الذي لا يغفره الله جل جلاله لمن مات عليه أبدًا، لأنه خَرْمٌ وخيانة لأعظم حق من حقوق الله بما هو رب العالمين، الخالق للجنة والناس أجمعين، فحق عليهم بذلك عبادته وحده، لأنه هو الخالق وحده، فمن خان هذا الحق الإلهي هلك هلاكا مبينًا، وكان في الآخرة من الخاسرين.

ولذلك وجب علىٰ المؤمن في أصول إيمانه أن يتبرأ من الشرك والشركاء، ومن هنا جاءت (سورة الكافرون) في القرآن، بما فيها من نفىٰ مكرر، بصيغ شتىٰ، لأي صورة من صور

(١) ينظر: مجالس القرآن (١/ ١٧٤).
(٢) ينظر: مجالس القرآن (١/ ١٦٦-١٦٧).

التداخل بين الشرك والإيمان، براءة لقارئها المؤمن بها من الشرك، كما في الحديث النبوي الصحيح[١]، والشرك بالله ظلم كبير، ينتج عنه من الله عذاب كبير، والعياذ بالله، وهو مقتضىٰ قوله تعالىٰ في سياقنا هذا من (سورة الفرقان: ١٩): ﴿نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾.

ولذلك بادر هؤلاء المدعون آلهةً -قبل ذلك- إلىٰ إعلان الولاء لله والبراء من الشرك، مباشرة بعد سماع سؤال الله لهم فيما نُسِبَ إليهم من الإضلال عن التوحيد: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الفرقان: ١٨]؛ لأنَّ توحيد الولاء لله في أمر الدِّين يقتضي البّراء التَّامّ من كلّ ضروب الشِّرك والشُّركاء؛ إذ هما نقيضان لا يجتمعان في دين الإسلام الخالص أبدًا، وهىٰ قضية لا تنازل فيها، ولا تفاوض أبدًا[٢].

والمتأمل في أن حوادث الهلاك الشامل للمدن والقرىٰ الحاصل اليوم -من حين لآخر- في هذا العصر، هو من تلك السنة الإلهية الجارية علىٰ القوم الذين تكالبوا علىٰ إعلان التحدي لرب العالمين، بشتىٰ أنواع الكفر والفجور، وأن المؤمن الحق الذي يرىٰ بنور الله يشاهد غضب الله في ذلك، مشاهدة واضحة لا غبش فيها ولا اضطراب، ويقع بقلبه من الرهبة والخوف ما يقع بقلب المؤمن العارف بالله، المشاهد لعظمة سلطانه، وشمول إحاطته بأمره وبجميع شؤون ملكه وملكوته تقديرًا وتدبيرًا.

والمؤمن لا يشوش عليه دجل الإعلام الكبير اليوم، ذلك الدجل الذي يقلب الحقائق؛ بنسبة الكوارث النازلة بالناس إلىٰ فعل الطبيعة، وإلىٰ اختلال حركتها الميكانيكية، وإنما هي في منطق الإيمان مسخرة مأمورة، بل إن المؤمن يرىٰ بعين اليقين أن الطبيعة بكل مكوناتها عبد طائع بين يدي الله، وعلىٰ وعي تام بذاتها وبوظيفتها المكلفة بها، تنفذ ما طلب ربها منها، تنفذه كما طلبه بلا زيادة ولا نقصان، فالوجود الطبيعي – بكل مكوناته، الجمادية، والمائية، والهوائية، والنارية، والنباتية ... إلخ- كائنٌ حيٌ يسبح بحمد ربِّه، بلسان حاله ومقاله معًا، ويدور في فلكه سيرًا إلىٰ الله.

فما تحرك شيء من الكوارث في الأرض ولا في السماء إلا بعلم الله، وإلا بإذنه، وإلا بأمره سبحانه جل علاه، قال تعالىٰ: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ

---

(١) قال ﷺ: «إذا أخذت مضجعَك من الليل؛ فاقرأ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١﴾ فإنها براءة من الشرك»، حسَّنه الألبانيُّ في (صحي الجامع).

(٢) ينظر: مجالس القرآن (١/ ١٨٣).

﴿وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام]، وما كان شيء من ذلك كله إلا بحكمة بالغة، معلومة منه سبحانه، رسالات تترىٰ إلىٰ الناس أجمعين فكل ما ترىٰ وكل ما تسمع من زلازل أرضية وبحرية، وعواصف مدمرة، وفياضانات مهلكة، وخسف رهيب، ومن حروب مجنونة تحرق الأخضر واليابس، وتدمر الإنسان والعمران، في هذا القطر أو ذاك، وفي هذه القارة أو تلك، إنما هو خطاب الله الغضبي المنزل علىٰ أهلها انتقامًا والعياذ بالله! فتفكر في مشاهدها من المغرب إلىٰ المشرق، ومن الشمال إلىٰ الجنوب، وعبر جميع القارات، ثم انظر إليها عبر تاريخ العالم الإسلامي القريب والبعيد، من مأساة الأندلس إلىٰ سقوط الدولة العثمانية، إلىٰ حروب الاستعمار القديم والجديد إلىٰ ضربات الزلازل والعواصف وانفجار البحار! تَرَ جنود الله القوية تُغير علىٰ هذا الشعب أو ذاك، وعلىٰ هذه المدن والقرىٰ أو تلك، فتحصد الآلاف والملايين وتُلحق بالظلمة الخسائر والبوار سواء في بلاد المسلمين أو في بلاد الكفار.

ويقف الإنسان -مهما أحرز من تقدم علمي- عاجزًا حائرًا مبهوتًا، بين يدي عظمة الله الواحد القهار. سنةٌ جارية أبدًا إلىٰ يوم القيامة، وهي صريح قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [الرعد: ٣١].

٧- التواضع والبعد عن الكبر.

التخلص من الأنانيات ومعالجة مرض تمجيد الذات، وداء تعظيم النفس وتنزيهها، وذلك بترويضها في خلاواتها وجلواتها علىٰ مشاهد عيوبها، واكتشاف نقائصها الكثيرة في حق الله، ثم معالجتها بمشاهدة مقامات أهل المنازل السابقين، من الصحابة والتابعين، والأئمة الصدِّيقين، وسائر الربانيين عبر التاريخ. وما كان لهم جميعًا من سَبْق في مقامات الإيمان، وما اشتهروا به من كمالٍ وزهدٍ عالٍ، ومن لَوْمٍ شديدٍ للنفس، ومحاسبة دائمة علىٰ دقائقها.

فواحرَّ قَلْبَاهُ عليك يا نفسي الجاهلة المغرورة كيف تمجدين ذاتك وتزكين أعمالك، وها أنت تنامين الليالي الطويلة الثقيلة، ميتة الإحساس، جامدة الشعور؟!

كيف؟ وهؤلاء المؤمنون الكُمَّلُ الذين شاهدوا حقائق الإيمان، قد أفزعتهم ذنوبهم؛ فقاموا لله مَثْنَىٰ وفرادىٰ، قال تعالىٰ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [السجدة]، فالبِدَار البِدَار قبل خرابِ الدّيار[1].

(١) ينظر: مجالس القرآن (١/ ٣٨٢-٣٨٣).

وباتهام النفس وإدامة النظر في خفاياها؛ تهذيبًا وتشذيبًا، والنظر المنكسر إلىٰ ذنوبها والبكاء علىٰ خطاياها. ومن كان هذا شأنه خَجِل من كلامه، فأنَّىٰ لمذنب أن يتكلم بغير عبارات التوبة والاستغفار؟![1].

٨- الخضوع لله تعالىٰ.

فهو تفريغ القلب من الأهواء، والتجرد لله من كل حول وقوة، والدخول إلىٰ جنة كتابه بافتقار كامل وبعبدية خالصة، فالقرآن لا يفتح كنوز أسراره إلا لمأذون، ولا إذْنَ لمن تعلق بقلبه شيءٌ من كبرياء الهوىٰ واستعلاء الفهوم، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]، فاخضع لربِّك واخنع قبل طرق الباب [2].

فهذا المقصد الإيماني العظيم يورث النفس مقام الذلة لله، ويصفي إخلاصها له وحده دون سواه، ثم ينشط عزائم الروح في سيرها التعبدي رَغَبًا ورَهَبًا، وشَوْقًا إلىٰ لقاء الله[3].

من هنا؛ تبدأ أولىٰ دروس التّزكية بمدرسة «عباد الرحمن»: إنَّه درس تحقيق الذلة لله والافتقار الكامل إليه جلّ عُلاه؛ حيث يشرب المؤمن من هذا المورد حتىٰ تخشع قدماه ويطيب ممسشاه. فمقاربة الذلة والافتقار لله رب العالمين شرط الصلاح في كل المؤمنين، لكن كمال الذلة له تعالىٰ وتمام الافتقار؛ حتىٰ لا يرىٰ العبد من عمله شيئًا إلا بالله، وحتىٰ تئن خطوته خوفًا من الله، هو أول مفتاح النجاح بمدرسة عباد الرحمن، ولا تستقيم دعوة إلىٰ الله بغير ذلك فاشْهَدْ سجدةَ القلب بين يدي مولاك مقامًا لا تَزِلُّ عنه أبدًا [4].

٩- الثبات علىٰ الدين.

المؤمن لا ينبغي له أن ينهزم أمام الحروب النفسية، وألا يرهبه شيء من هذه الاتهامات والإشاعات، مهما كثرت وتواترت لسبب واحد، هو، أنها جميعها ستسقط مندحرة مهزومة؛ لأنها هي تحارب الله رب العالمين.

شيء واحد، يعصمكَ من الانحرافات وراء المتاهات، ويمنحك الثباتَ أمام مغريات الدعايات، وهو حقيقة إيمانية كبرىٰ: أن تبحث عما يريد الله منك، لا عما تريد أنت منه، فأنت

---

(١) ينظر: مجالس القرآن (١/ ٣٩٢).
(٢) ينظر: مجالس القرآن (١/ ١٥٥).
(٣) ينظر: مجالس القرآن (١/ ١٨٣، ١٨٧، ٢٣٧).
(٤) ينظر: مجالس القرآن (١/ ٢٤٥).

العبد، وهو السيد الرب العظيم جل جلاله، فلا ينعكس بين يديك الميزان وبغير ذلك يتيه الدعاة فيقرؤون القرآن -تحت تأثير الاستفزاز الإعلامي والسياسي- كما يريدون هم لا كما يريد القرآن، كل ذلك وهم لا يشعرون!

فيتم إخراج الدين للناس علىٰ موازين دنيوية فانية، لا علىٰ ميزان الربوبية والحقائق الأخروية الباقية![1].

(١) ينظر: مجالس القرآن (١/ ١٧٣).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين،،

وبعد؛ فقد يسَّر الله وأعان علىٰ إتمام هذا البحث، وقد خرجت فيه بعدة نتائج أبرزها:

١- حاجة المجتمعات لنشر ثقافة تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- في القلوب من خلال القرآن الكريم؛ لتجدد علاقتها بوحي القرآن، وتنهض من بين آياته لتقود الأمة إلىٰ بر الأمان.

٢- ورد لفظ عظم ومشتقاتها في القرآن الكريم مئة وثمان وعشرين مرة، كلها ترجع إلىٰ عظم بمعنىٰ الكبر والقوة، كقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج].

٣- جاءت نصوص الشرعية من الكتاب والسنة في بيان فضل تعظيم الله؛ وهي تتضمن تذلل العبد لربه وطلب الاستعانة منه؛ وذلك يتضمن تعظيم الله تعالىٰ.

٤- معنىٰ تعظيم الله تعالىٰ اصطلاحًا: علم العبد بعظمة الله تعالىٰ، وخشيته، والخوف منه، والتذلل له سبحانه.

٥- لا قوة للعبد علىٰ الانطلاق وبدء السير إلىٰ الله والتعرف إليه تعالىٰ؛ إلا بالاحتماء به، والالتجاء إليه ابتداءً! فلا وصول إليه بمجرد الجهد الخاص والكسب الذاتي، بل لابد من استدرار توفيقه ورحمته، فالهداية والتوفيق والسداد، كل ذلك إنما هو بيده وحده جل علاه! وذلك من صميم التوحيد والإخلاص. وتحقيق معنىٰ الاستعاذة في النفس تَخَلُّقٌ عميقٌ بهذا المعنىٰ العظيم.

٦- التعرف إلىٰ الله وعلىٰ مقامه العظيم؛ بمداومة النظر في كتابه تلاوةً وتدبرًا، وخصوصًا ما تعلق منه بآيات الخلق والتقدير، والرعاية والتدبير، والإحياء والإماتة، وسائر شؤون ربوبيته ومقتضيات إلهيته، وما تعلق بذلك كله من أسمائه الحسنىٰ خاصةً، فإنها مفتاح عظيم للتعرف إلىٰ الله ومحبته.

٧- الإنسان يشرف بقدر ما يعلم، والعلم بالله أشرف العلوم، فكلما تعمقت في أسماء الله الحسنىٰ كان تعظيمك لله أكبر، وكانت طاعتك أكثر، وكانت مسارعتك إلىٰ رضوانه أكثر، فأصل الدين معرفة الله. إذن فالطاعة مرتبطة بالتعظيم والتعظيم مرتبط بأسماء الله الحسنىٰ، فمعرفة الله والإيمان به وتعظيمه ليس شيئا طارئا لينقذ الإنسان نفسه من الهلكة.

٨- مشاهدة تجليَّات أسمائه الحسنىٰ في مسيرة الكون كله أرضه وسمائه، وفي معارض تحولات الملكوت ما بين أزمنته وفصوله، ومنازل أفلاكه وكواكبه، فإن في ذلك ما يملأ القلب رَغَبًا ورَهَبًا، ويزيده تقربًا إلىٰ الله تعالىٰ ومعرفة به.

٩- مشاهدة تجليَّات أسمائه الحسنىٰ علىٰ كل شيء، خلقًا وتقديرًا ورعايةً وتدبيرًا، مشاهدة تجعل المؤمن يحقق توحيد الأولوهية في سيره إلىٰ الله، رغبًا ورهبًا، بما ينبغي له -سبحانه- من كمال الجمال وعظمة الجلال.

١٠-استحقاق اسم الله العظيم «الرحمن» من أسماء الله الحسنىٰ أن ينال ضربًا من الاستقلال في الدلالة علىٰ الذات الإلهية، بما جمعت من شؤون الربوبية وكمال الألوهية! فكاد يكون رديفًا لاسم الجلال الأعظم: «الله» جل جلاله! لا يوازيه في ذلك اسم آخر مما علمنا الله -تبارك وتعالىٰ- من سائر الأسماء الحسنىٰ!

من ثمرات تعظيم الله في القلوب عند فريد الأنصاري:

١- تربية القلب علىٰ صفاء الإخلاص لله -عزَّ وجلَّ-، بتخليص القصد وتصفيته لله الواحد الأحد؛ حتىٰ يتحقق المؤمن بمقام الإخلاص صفة جوهرية، وخلقًا تلقائيًا؛ بما يجعله عبدًا لله حقًا وصدقًا.

٢- قيمة الكلام إنما هي بقيمة من تكلم به، وإنما يتعرف المؤمن علىٰ عظمة القرآن، عندما يتعرف علىٰ عظمة المتكلم بالقرآن: الله رب العالمين.

٣- تخليص العمل وتصفيته من كل مَنٍّ، ومِنْ كُلِّ حَوْلٍ وقوةٍ، إلا ما كان بالله وله، وحده دون سواه.

٤- طمأنينة القلب وانشراحه.

٥- الثقة بالله وبخبره وطلبه.

٦- البعد عن الشرك والمعاصي.

٧- التواضع والبعد عن الكبر.

٨- الخضوع لله تعالىٰ.

٩- الثبات علىٰ الدين.

وفي الختام؛ لا ينبغي للمؤمن أن ينهزم أمام الحروب النفسية، مهما كثرت وتواترت، وليعلم يقينًا أنها جميعها ستسقط مندحرة مهزومة؛ لأنها هي تحارب الله رب العالمين، والشيء الوحيد الذي به يعصمكَ الله ويمنحك الثباتَ أمام المغريات والانحرافات والمتاهات، هو

حقيقة إيمانية كبرىٰ: أن تبحث عما يريد الله منك، لا عما تريد أنت منه، فأنت العبد، وهو السيد الرب العظيم جل جلاله.

أسأل الله تعالىٰ التوفيق والسداد، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمَّد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين،،

المصادر والمراجع

١- **تفسير أسماء الله الحسنىٰ**، لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الزجاج (١٩٧٤م)، (تحقيق: أحمد يوسف الدقاق)، دار الثقافة العربية، دمشق.

٢- **تفسير الرازي: مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير** لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفىٰ: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ

٣- **الجامع لأحكام القرآن**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي (المتوفىٰ: ٦٧١هـ)، (تحقيق: هشام سمير البخاري)، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.

٤- **جريدة المحجة المغربية** العدد (٣٣٠-٣٣١)، عدد خاص بالدكتور فريد الأنصاري، المدير المسؤول: المفضل فلواتي، ١٥ محرم الحرام ١٤٣١هـ-٠١ يناير ٢٠١٠ م.

٥- **الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول**، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس: دار ابن حزم – بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٧تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني، محمد كبير أحمد شودري.

٦- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، يناير، (١٩٩٠ م).

٧- صحيح مسلم: للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي: بيروت.

٨- **صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته** لمحمد ناصر الدين الألباني- المكتب الإسلامي- بيروت.

٩- **طريق الهجرتين وباب السعادتين** لمحمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين ابن قيم الجوزية ص ٢١٥، ط ٢ دار السلفية القاهرة مصر ١٣٩٤ هـ.

١٠-**الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، لأبي البقاء أيوب بن موسىٰ الحسيني الكفوي، تحقيق عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، (١٤١٩هـ-١٩٩٨م).

١١- **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولىٰ.

١٢- **مجالس القرآن مدارسات في رسالات الهدي المنهاجي للقرآن الكريم من التلقي إلىٰ البلاغ**، للدكتور فريد الأنصاري، دار السلام، جمهورية مصر العربية: القاهرة – الإسكندرية، الطبعة الثانية ١٤٣١هـ-٢٠١٠ م.

١٣- **مختار الصحاح**، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة طبعة جديدة، ١٤١٥ – ١٩٩٥، تحقيق: محمود خاطر.

١٤- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثانية، (١٣٩٣ -١٩٧٣).

١٥- **معجم كلمات القرآن الكريم**، أ.د. محمد زكي محمد خضر (٢٠٠٥م)، (قام بإعداده: نور علي يف فردوسي)، الطبعة: محرم ١٤٢٦هـ.

١٦- **معجم مقاييس اللغة**، لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون دار الفكر، (١٣٩٩هـ -١٩٧٩م).

١٧- **المعجم الوسيط**، إبراهيم مصطفىٰ، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار، دار تحقيق مجمع اللغة العربية، الدعوة. (بدون ت).

الموضوعات

المقدمة، وتتضمن: خطة البحث، وأهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهداف البحث ٢

ترجمة موجزة للدكتور فريد الأنصاري ٤

المبحث الأول: مفهوم «تعظيم الله» ٦

المبحث الثاني: مسالك تعظيم الله عند فريد الأنصاري ٩

المبحث الثالث: أثر أسماء الله الحسنىٰ في تعظيم القلوب لله -عزَّ وجلَّ- عند فريد الأنصاري ١٨

المبحث الرابع: ثمرات تعظيم الله في القلوب عند فريد الأنصاري ٢١

الخاتمة: وفيها بيان أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة ٢٧

المصادر والمراجع ٣٠

فهرس الموضوعات ٣٢